

جَارِسُون... وَاحِدُ شَوْبٍ !

فانتازية سيكولوجية
للكاتب كاردريك لاهوفسكى
بقلم الأستاذ محمد لطفي جمعة

ما كان قط يجيد الغرام ولا يتقنه . بل
كان مشغولاً بالسياسة والجمعيات
السرية ... ففي أوقات فراغه يفتشى
بجالس الروس والطلبان - جمعية الدائرة
الجرأ والكف السوداء وإخاء جوزيبي
ماتزيني - وكان شغفه بحياة الخفاء في
السياسة - بمد أن اقتنع

بضرورته - يملك عليه إبه .
فها هو ذا وطنه بولونيا قد اقتسمه
الأغيار مثالثة بمد أن تنازعوه
حقباً طويلة . وكلا اغتال بولوني
حر حياة حاكم ظالم أو قاض غير
منصف أو بصاص خثون ، عدو ،
مجرماً ذاخطورة لا يستحق عقوبة
أقل من الاعدام . ولكن الأحرار
قد باعوا الأعمار بيع السباح ، فلم
تكن لديهم وسيلة أخرى غير
هذه . فلما نزل لودفيج مدينة
لوزان اختار لنفسه مقراً في
بنسيون فيليبياكا - الذي
يملكه دى نافا ويديره فيليبياكا
أحد منازل أفنيو ديزالب التي كان
يقطنها موسيو بروشيه وزوجته ،
وقد نزحاً إلى فيلا ميسيدور في
طرف المدينة الغربي بمد أن باعاً
يتهمها الفخم لهذا الإبطال المحجين
في الفكر ، فقد كان أديكاً شاعراً ،

تعريف بالقصة

كان في الامكان تحويل عنوان
القصة . ولكننا احترمنا إرادة
المؤلف ونصه فقد أراد أن يجعل
من تلك المأساة التي سببتها حياة
المرأة مهزلة ساخرة ليسلح انضعاف
من الرجال بما يقبهم شر الانحلال
الخالق حيال غدر الجنس اللطيف .
ولذا احتفظنا أيضاً بوصفها الفني
« فانتازية نفسانية » وهي كلمة غريبة
معناها خيال أو أمر عجيب نادر
أو ابتكار رجل يفرد به في الحياة
أو الفن أو التأليف ، كل يعيش
على هواه ، فهي بهجة شاذة أو بدعة
قذرة وقد تزدى معني السخ أو التحوير
أو السخرية . وكاردريك لاهوفسكى
مؤلف بولوني من أتباع هنري سكويتير
مؤلف كوفاديس الشهيرة وقصة
موشكارو وقد وصفها بأنها فانتازية ،
والمؤلف هنا يتعمق في نفسية المرأة
والوالدة والعاشقة المهجورة والمستهتر
والتألمة والتي تشعر بأخيبة في
الأدب والسياسة والزواج فتأخذ
أول رجل تنفاه ثم تعبت بقلب الرجل
الذي يخلص لها وتخضع للتذل الذي
يشبع رغبتها وهي وسط بين العقل
والجنون والعفة والدعارة . إنها لقصة
مدهشة حقاً

كان قد مضى على اجتماعهما
أربع سنين ، سنين أربع . من
الصيف إلى الصيف . هذا
الاجتماع الأول من أربعة أعوام
في مدينة لوزان ، عاصمة مقاطعة
فو بسويسرا ... لوزان أوثنى ،
بحيرة ليمان - ما أجمل هذه
الأماكن ... الجبل الأبيض يرى
لاماً بالبياض تحت أشعة القمر ،
كما يرى أحمر ساطعاً تحت وهج
الشمس ، وتلك الألوان البنفسجية
واللازوردية والوردية التي تبدو
في سفحه ، إنها لعجبية ، ولكن
الأعجب منها لون الجليد الناصع
الذي تغم به قمة الجبل في كل
شهور العام ، على مدى الأسابيع
والأيام ... وكيف كان ذلك اللقاء
الأول ؟ إن لودفيج دى جيميه
لا يذكره ، ولا يستطيع أن يقف
عقله عند تفاصيله . كان طالب
هندسة ورياضيات عليا في كلية

ونائراً سياسياً ، وداعية اشتراكياً ، نافعاً على النظام
الرأسمالي . وفي نفس الوقت كان مديراً للفندق ،

بوليتيكنيك ، يجيد حساب المثلثات والهندسة
الفراغية واللوغاريتمات والتحليل الرياضي ... ولكنه

في غرفته ربما تضع المائدة وتمعد الطعام فنادها « آنايلا آنايلا ! » وكانت هذه الندادة تحز في أحشاء زوجته الدميعة التي كانت تعلم أنها صدى لغيرته على الخادمة المحظية المفضلة عليها في كل ليلة .. وفي أحد الأيام دعا دي نافا إلى الغداء بضع نساء وبضعة رجال من الروس الثائرين والمشردين عن أوطانهم بأمر الحكومة القيصريّة . وكان لودفيج يجلس بطبيعة الحال إلى تلك المائدة ، بحكم أنه نزيل بأجر . وكان دي نافا رقيقاً دقيقاً لبقاً إذ استأذنه في الجمع بينه وبين أضيافه قائلًا في لغة إيطالية نقية (وكان لودفيج قد أنقذها منذ ساح في لومبارديا وتوسكانيا وأقام ردها من الزمن في تورينو وفيريزه) :

— انظر هنا يا صاحبي ! أنتم في الهوى سواء .

هم مظلومون ثائرون ناقون على حكومتهم وإن كانت منهم لحما وعظما ودمًا ، ولكنها تخالفهم في الرأي وطرائق الحكم ، وتحمل الظلم محل النصفة ، وتؤثر طبقات الأغنياء والشرقاء المزعمين على غيرها من طبقات الأذكياء والتعلمين والصناع والزراع والأستليجنتريا^(١) الناقمة على تقسيم الأرزاق وتوزيع المناصب ؛ وأنتم أيضاً مظلومون وثائرون لأن الحاكمين في أوطانكم غرباء عنكم ، فاذا نعتهم عليهم وطعنتموهم بمدية أو أطلقتم رصاصاً اعتقلوكم وحاكموكم محاكمة جائرة ، ثم شفقوكم أو ألغواكم في غيابات سيريا أو حصون بطرس وبولس ؛ أليس كذلك ؟ غير أنني أفطن إلى عاطفة أخرى ، فقد لا نحبون الجنس الذي خرج منه المستبدون فيكم ، وإن كان أفرادهم في وطنهم مظلومين ...

يتقن القيام على خدمة أضيافه ، ويظهر شمم الشاعر ، وترفع المصلح عن عبادة المال ، وقد يتخلى أحياناً عن المساومة في الأثمان والأجور لزوجته كريغونا . وكانت سويسرية على جانب من الدمامة ، ولا ريب أن دي نافا قد باع إليها نفسه في مستقبل عمره لقاء دنائير معدودة كانت ورثتها ، فرزقت منه ولداً ... ثم هجرها في مضجعهما ، فافترقا على أنهما يعيشان تحت سقف واحد . ولكنه عكف على حب « آنايلا » ، وهي خادم ألمانية ذات جمال ورشاقة وسحر ، ولكنها مفرطة في البلاهة . وكان دي نافا يباشرها جهاراً ليلاً ونهاراً ويفار عليها من كل قادم ويرقبها عن كثب لوثوقه من عدم الوثوق بها ، فهي بهيمة الأنعام في الشهوات . أما الزوجة الشرعية فكانت تقطن في أسفل الدار فاذا جاء الليل ودقت الساعة العاشرة صعد نافا إلى مخدعه وترك الشرعية الدميعة تنحرق ، فتودعه في أسفل الدرج قائلة :

« بونا نوتي كاروا »^(١) وكان من مظاهر سلطان

الرجل عليها أنها تخاطبه بلغته وقد تخلت عن لسانها وهي في وطنها . أما دي نافا وكان عملاقاً ملتجياً ، لا يصلح إلا أن يكون نموذجاً حياً ينقل عنه المصورون أشباحهم الملونة أو تهاويلهم المثلة بالطين المشوي^(٢) فلما حل لودفيج تلك القيلأ أحسن دي نافا وقادته ، وأرسل إليه عشاءه في غرفته ذات الشرفة والنوافذ المطلّة على البحيرة وجبال الالب تحمله تلك « البُنية » الشرقاء التي هي أشبه النساء يجرشن عروس المأساة الجوتية^(٣) ولم يكن لودفيج زير نساء ، ولكن دي نافا لم يصبر على بقاء البنت

(١) كلمة إيطالية intelligentzia صارت دولية ومعناها الذين تنفغوا في المجتمع الحديث وآثروا المعرفة على جمع المال

(١) عم مساء أيها العزيز بالإيطالية (٢) terra cotta

(٣) هي رواية فارست تأليف جوته .

« تحطيم حجاب الجليد ^(١) بينهما »
 فأجاب بالبولونية : أحب السمك بأنواعه
 وأكره التكلم باللغة الروسية التي لا أجيدها
 فصاح من آخر المائدة صوت نكير بقول :
 ولكن قوانين بلادك تحم عليك أن تنقها وتؤدي
 امتحان الدولة بها. وكان التكلم كهلاً أصفر اللون كرية
 الحياة يدعونه الكولونيل فشاروف ، تدل صلته
 المربعة ولحيته المدببة وعينه المستطيلتان تحت حاجبين
 مقوسين على صورة علامة الاستفهام أنه بلغاري
 من إحدى إمارات البلقان اللواتي يتملقن روسيا
 ويتقربن إليها ولو على حساب ضحاياها . فصمت لدفيج
 هنيهة وأطال النظر في وجه الكولونيل المتقاعد ،
 وشمر كل الحاضرين بأنه يُعد معها قاتلاً يحدث به
 جرحاً من جراح اللسان التي لا التئام لها . ولكن
 الفتاة — وقد عرف أن اسمها جوتى مصغراً وجستا
 بادرته بنظرة مهدئة مستعطفة ، فاستلست سهام الغضب
 من جمبته قبل أن يصوبها . فابتسم ولم يجب ، وحول
 وجهه عن ناحية الكولونيل فشاروف ، فكان لهذا
 السلك في نفوس الحاضرين وقع أقتل وأفظع وأفجع
 مما لو أنه تكلم . ولكنه في حالة صمته لم يضع في يد
 أحد سلاحاً يناله به سوء . وطربت جوتى لما علمت
 من مكانتها في نفسه ، وأنه أطاع إشارتها فجزة
 على معروفه بإتسامة قصيرة ملاً وميضها نفسه نوراً .
 ومرت « الدودة » بخير الكلام .. وهو ما قل ودل
 وثبت في ذهن دى ناغا أن مادبته فشلت ولم ينل منها
 مأرباً ، وأن السبب في فشها كانت كلمة ذلك
 الكولونيل المتقاعد فشاروف ، ولكن رأى لدفيج

فأنت ياسيدى حر ، إن شئت قبلت دعوتي وتغديت
 مع أضيائي على المائدة العامة ، وإلا فانك تنغدى في
 غرفتك فهذا حقك الذي لا ينازعك فيه أحد .
 فضحك لدفيج لإيهاب الإبطالى في شرح موقفه
 وتبريره وقبل دعوته شاكراً . وبميد الظهر ربع
 ساعة دخلت امرأة رشيقة في مقتبل العمر فأجلت
 عينها في الجالسين حول المائدة . ثم جلست قبالة
 لدفيج الذي أحس منذ الوهلة الأولى التي رآها فيها
 باعجاب بها لاحدله ، وود كأيود المرء أحياناً لو تسمح
 الشرائع أن بطوطها بذراعيه وبضمها إلى صدره
 وإن لم يكن له بها معرفة . لم تكن ألفاظ الجاذبية
 الجنسية قد سُكَّت أو صيغت ^(١) ولم يعرف لدفيج
 عبارة « سيكس إپيل » التي ملأت الأفواه والأسماع
 بعد ذلك ببضع سنين ؛ ولكن المعنى كان في النفوس
 والعقول ويستحوذ أحياناً على الشعور . وقد أحس
 لدفيج أن هذه الفتاة فتاة أحلامه التي أعدت لها
 الطبيعة في قلبه أسمى عواطف الحب وأعظمها ولبت
 ينتظرها طويلاً ، وإن فيها النثل الأعلى للمرأة التي
 هام به خياله الشاب ، واستهوته فراح يتأملها على
 الرغم منه ، فلم تتضايق من نظراته ولم تحمر خجلًا .
 ولكن غيرها من النساء لاحظن ما حدث ، فحاول
 أن يصرف بصره عن الفتاة فلم يستطع ، وظل محققاً
 فيها . ولم يكامها في أول الأمر ولكن نفسيهما قد
 أطلتا من أعينهما فالتفتا وتعارفتا منذ التقت نظراتهما
 وأخيراً وبعد الجهد والمقاومة قالت له بالروسية :

— إنك بلارب تحب السمك ! سؤال عجيب
 مذهش دك على ارتباكها المصحوب بالرغبة في

(١) افتتاح الحديث briser la glace أى وضع حد
 للصمت ، يشبه الصمت بالتليج

(١) تعبير لطيف باللغة الأممية ، إشارة إلى أن الألفاظ
 تسك وتضرب كما تسك النفود

عليه بصره بطاقة بصورة دانتي وبياتريس ، وقد خطت عليها بضعة أسطر :

« صديقي العزيزة أناذي في لوزان مرة أخرى ، وأبعث إليك بتلك الرسالة على أجنحة المصادفات ، هل تصلك أم تخطئك . إنني هنا نزيلة « فاميلي هاوس » إلى بضعة أشهر . كل شيء تفسر إلا صداقتي نحوك »

أوجستا على بضع خطوات ، لقد قطع الشوق شهية الطعام ، وتقلب الوجد لرؤيتها على تمبه . فود لو يذهب من ساعته لرؤيتها قبل أن يذهب إلى المنزل الذي تعودوه وهو نزل لوسرن المطل على البحيرة ، ثم عاوده التمتع والآناة ، فخير له أن ينزل في نفس الفندق الذي أخذته مقراً ، ليكون على مقربة منها ، وإن تكن تلك الطريقة في توريث النساء مكشوفة ... فهض و « حجز » غرفة بالتليفون في « فاميلي هاوس » ، ثم أمر بنقل متاعه إليه كمادته قبل أن يصل لتكون غرفته على أتم استعداد للقاءه . وقبل الغروب بلحظة وصل إلى الفندق وهو يتقلب على أشواك الانتظار ويلوك حنظل الصبر . وعلى مائدة العشاء قلب أجفانه في الطاعمين والزلاء — لأنه لم يشأ أن يسأل أحداً عن صاحبه التي لم يرها منذ أربع سنين ، خشية أن يثير الظنون — فلم يجدها فهم بمفارقة الحوان دون أن يأكل . وإنه لكذلك وإذا بها تقبل في حياء ، وقد ليست السواد وعلى ثوبها زينة من الدنتلا السوداء والخرز الأسود جعله فتنة الناظرين ... ولكنها كانت مصفرة اللون ، كالماج ، وفي عينيها شبه ذهول فلم تلق نظرة على أحد ولم يأخذ بصرها بلديج المترقب الدائب . فملل إغضاءها بدهشة القادم . وسره أنه لم يهف

كان مخالفاً لرأى الداعي فقد نجحت المأدبة النجاح كله ونال منها أكثر مما أمل ، فغاز بهذه الفتاة التي لو أنفق ما في جيبه جميعاً لم يكن ليظفر بلقائها . فلما انسحبا بعد الفراغ من الفاكهة اختارا مجلساً في البهو واختلسا ساعة للحديث ، وكان حديثاً لداً كأنه قطع الروض . ثم افترقا على مصافحة اليد ، لا يفتأ يحس إلى المساء بأثرها في يده وكأنما لمستهما الكهرباء . وكان إذ يستذكر دروسه أو يقرأ كتبه أو يقاب صحف المجلات ، يفكر فيها أبداً ويستعيد ذكراها في نفسه ويرى طيفها ماثلاً أمامه يؤنسه في وحدته . ثم افترقا بفدر الزمان فساشرت أوجستا إلى وطنها دون أن تدوع صديقتها وهو لا يعلم سبب هذه الرحلة المفاجئة . . . وتشكرت له المدينة وضافت في عينيه على رحبها ، وتنقل بين فنادقها ونزلها ، وعاد إلى عطف مدام بروسية ولحبة زوجها ... وحاول فتيات من كل جنس ولون أن يتصلن به ليخضعن كبريائه لسلطان الحب فلم يفلحن لشدة عناده وصلابته ولأنه كان منشغلاً حقاً بحب أوجستا ... وبعد شهر أو شهرين زح هو الآخر محاولاً أن ينسى تلك التي « رحلت ولم تترك عنوانها » فلم يفلح في محاولته .

وفي يوم من أيام شهر يوليو الفائضة الشديدة الهجير في لوزان رجل لدفيج على إقرير المحطة من القطار القادم من إيطاليا ، وقصد إلى دار البريد في ساحة فيدرال ، فتناول حزمة من المكاتب والبطاقات المصورة كانت تنتظره بذلك الصندوق المبارك ، صندوق الغرباء ، ومستودع الجوالين والمستنفضين « پوست رستانت » ، ثم إلى مطعم « غليوم تيل » وبدأ فض الرسائل فكان أول ما وقع

وقد استعصى داؤه . تنظر إليه وقد غشيت عياه
الوديع صفرة كثيفة وأحاطت بأجفانه زرقة قاتمة .
وأثمن لدفيج النظر في صدره فإذا به يهبط بطيئاً ويرتفع
بمشقة وعناء . وكان لدفيج يتلهم بمجرعات من الشاي
ويرسل إلى الأرض بنظرات ساهمة . ثم تشجع قليلاً
وسأل الجدة : أمرىض من زمن طويل هذا الصغير ؟
قالت : منذ ثلاث سنين لا تعرف ابنتى سجو
النمام ولا طعم الهناء .

قال : كيف ؟ ألا تعرف العلة ؟ أو ليس في روسيا
حيث كنتم أطباء . فقالت الجدة :
— لقد استعصى الداء ، وغمض الدواء ، وعجز
نفس الأطباء

فضحك لدفيج ضحكة طويلة وهو يشمر أنها
في غير موضعها في تلك الغرفة الملائنة بالخوف
والكدر . وتبادلت المرأتان نظرة مذهولة . وساد
الصمت قليلاً ثم قالت أوجستا :

وأنت متى وصلت وأين زلت وهل بلغتك رسالتى
التي بعثت بها وأنا متأكدة من ضياعها ؟ فقال :
— دانتي وبياتريس ؟

فلعلت عيناها وقالت : نعم . وهل هي السر
في اعتدائك إلى ؟ لم أكن وربي أحب أن ترانى
على هذه الحال . ولكن الأمراض تستأذن على
أحسن الأمر^(١) وابتسمت للنكتة

فنهض لدفيج وقال : ومن طبيبه في هذه البلدة ؟
أجابت : دكتور كالينيني ، طريد القيصر ، وهو
شيخ كبير كان مدير مستشفى الأمراض في موسكو

(١) أصل النكتة أن بيسارك أصابه دمل شخم في عنقه
فراه الأميراتور غايوم فقال : له دمل بهذا الحجم أيها المستشار ؟
فأجاب : هذا يحدث لأفضل العائلات بامولاي

بالسرع في السؤال أو الانصراف . ولكنه لم يأكل
إلا قليلاً من كل لون ، ليتمكن من اللحاق بها لدى
نهوضها . وكانت عند ظنه بها فنهضت وحيث
وانصرفت وانفلت في أثرها ، فرآها تنحدر في الدرج
دون أن تلوى على أحد ، فتبعها ولم يشأ أن يفاجئها
على السلام ، وصبر حتى خطت بكعب الغزال واخصيه
هادئة ، وصارت في بهو فسيح مفروش بالطنافس
ثم دخلت من باب إلى غُدها وغلقته وراءها .
فوقف لدفيج يمد أنفاسه قبل أن ينقر على الباب
نقرة خفيفة . ففتحت له سيدة في العقد الرابع خمرية
اللون ذات وقار ومحاسن سالفة ، فحياها وسأل
عن مدام أوجستا ، فابتسمت وقالت لأعراف مدام
أوجستا ولكنى أعرف مدام دامسكي

وفي تلك اللحظة تكلمت من الداخل بصوتها
الملائكى وقالت بالروسية : هنا تفضل . وأسرعت للقاءه
فرأى في ضوء الغرفة حمرة في خديها وبريقاً في عينيها
لم يكونا لدى العشاء . وكانت الغرفة واسعة ولها
شرفة ضخمة مطلة على البحيرة والجبال . فدعته إلى
الجلوس فيها ثم عرفته إلى السيدة التي فتحت الباب
وقالت إنها والدتها وقد صيبتها لتقضى بضعة أيام في
لوزان . ثم رجتها أن تصنع للضيف قدحاً من الشاي
ومر لدفيج في طريقه بسرير صغير فيه طفل
نائم ... فنظر إليه ثم انحنى عليه فإذا به مريض ...
فنظر لدفيج إلى وجهها فأيقن أن الطفل طفلها ،
فلم ينطق بكلمة . وأخذ مكانه في الشرفة في صمت
وأحس بأنه في جو قاتم ، وأن أوجستا تحاول
أن تظهر السرور بلفائه وتبطن ما تمنى من ضحك
والم . فانها لم تلبث أن قدمت له الشاي حتى جلست
بقرب ولدها واجفة القلب يذهلها الخوف عليه

وأُمى، ولكن الجدة كانت تتبع حركات الطبيب بارتولسكى بعناية وقد غمغمت في نفسها وحدقت فيه وهو يفحص بعناية، ومر بخاطرهما ما تلاقيه بنتهما من هم ملح وأُمى لا يشفق. وجلس الطبيب الشاب وأخرج قلماً وورقاً فسألته الجدة :

— هل يشقى الولد ويبقى لها ؟

فابتسم وقال : نعم ! بقليل من العناية . ودون الدواء ووصف ألوان الغذاء وأوقاتها بدقة رائعة ، بمسد أن روى أطوار الداء السابقة كأنه كان يرى ويسمع . وهمس في أذن لدفيج أنها حبال حالة خبيثة من مرض « ترىسكاي فولينجوس » الذي يصيب طفلاً من كل مليون، ويشفى منه واحد من عشرة مرضى، وأن علاجه الأوحدة تحته الجلد من « فلورا بيكتوراليس » ولما كان الداء نتيجة لدعة من ذبابة سامة « موشاتو كسينوس » فلا يهزم السم إلا تلك الحقن والهواء النقي والحمام الفاتر وشراب البابونج بزهر البرتقال . وفتح الطبيب حقيته الصغيرة وكانت تحوى عشرات الأدوية، وحقن الطفل، ووعد بمدايته في الغذاء والعشى . وحييا وانصرفا تاركين المرأتين في ذهول . وفي الصباح جاء الطبيب وصاحبه ؛ وكان وجه الأم منهلاً ، فقد نام الطفل هادئاً للمرة الأولى . وضحك لدفيج ضحكته الأولى ؛ وكان الحمام الأول بالماء الفاتر وماء كولونيا ثم الحقنة وشراب البابونج وعصير البرتقال . وانصرف الطبيب وبقي لدفيج يواسيها ويرقب الطفل تارة في الشرفة وطوراً بجوار نافذة تأتي بشبهات من هواء الشمال الشبع برائحة أزهار الألب والجبل الأبيض ... وكان مقامه يطول أحياناً، ويطلب أن يتغدى مع الأسرة في إحدى غرفها ، فتبلى إدارة الفندق طلبه . وقد أخفى عن صديقه مجاوزته أمداً

ولكنه منذ نفيه قد تنيرت أحواله وصار يبدو كالشبح ؛ ولا أظن فيه من القوة ما يمينه على التشخيص والعلاج ولكن لا نعرف في هذه المدينة أحداً غيره . فضحك لدفيج مرة ثانية وقال : لا عليك يا سيدتى ! لا عليك . ونهض وخرج .

فنظرت المرأتان في إثره ثم عادتا تغلبان كفاً على كف وقالت الجدة : أهذا الذي كنت تذكرين مناقبه ؟ فأجابت : لا بد أنه طراً عليه طارىء ذهب بمعظم ليه كان لدفيج يعرف من عهد الجامعة طالب طب صغير هو جوردان بارتولوسكى ، بولونى مثله ، وكان لا يزال يكاتبه وقد ذاع صيته منذ تخصص لعلاج الأطفال . وقد اتخذ لوزان مقراً لعمله . فقصد إليه وكان يقطن بيتاً فخماً في شارع « بنك فدرال » فالتقى وتصافحا ، ودعا لدفيج لميادة الصغير . وكان بارتولوسكى شاباً قصير القامة مستدير الوجه أزرق العينين وضاء الجبين هادئ الصوت ، يتكلم كالعلماء ويهبط على المرض كاللائكة وبمعالج كاللهمين . ولم يكن في ثيابه متأنقاً . فلما طرقا باب السيدتين في الفندق ترددت الكلمة في الأذن لهما . ولكنها فتحت كارهة خشية إغضاب ابنتها .

فدخل الطبيب واتجه قدماً إلى سرير الطفل ، وأطال النظر إليه ثم جسده وقلب ظهره وفحص أحشاءه ؛ وكان ينظر إلى الولد بعينين هادئتين قويتين ، كأنهما تمزقان حجب الغيب وتنغذان إلى سرائر الحنايا . وقد بكى الطفل وهو يقلبه ، ولم تكن أمه سمعت صوته أمداً طويلاً ، ولم تر دموعه تنحدر على خديه . فلما فعل أسرعت المسكينة إليه تنهته دمه وتهدهد آلامه . وقد حاولت أن ترسل له نشيداً تخافها صوتها ، وطأطأت رأسها تذرف الدمع زفرات تفيض حسرات

— إننى لن أنسى جميلك ما حيت . لا تحسب يا صديق إننى غافلة عن فضلك . فإن ولدى يعود إلى الحياة بمحض مجهودك ومجهود صديقك الطبيب الالهى بارتولوسكى . ونهض لدفيج يودعها حتى موعد العشاء فصحبته إلى الردهة وضغطت على يده وهى تصاحفه . وفى تلك الليلة استيقنته بعد الساعة التاسعة وهى موعد انصرافه فى كل ليلة . فقال لها : إن البيت الذى يؤوبنى تقفل أبوابه فى الساعة العاشرة فلا يمكننى أن أتأخر . فضحكت وقالت له : إنى أعلم مقرك ومسكنك فلا حاجة بك إلى الاخفاء

والمرة الأولى خلعت ثوبها الأسود ولبست ثوباً أزرق وجلست فى الشرفة على مقعد طويل وقالت له : آن الأوان لأفضى إليك بسرى . لقد عرفت رجلاً فى وطنى فأغوانى وتحلى عني ؛ وكانت الضربة قاسية فلم أبحث عنه بل عدت إلى أمي التى كانت تعيش فى عزلة فى مدينة كيف تررع أرضها وتدير مطبخها وتنقضى أجور منازلها التى تركها والذى فوقفت على قدميها ، وشرحت لها حالى وسألها الرحمة والحنان فغفرت لى وبكت . وبعد شهر معدود وضعت غلاماً ؛ وإذ بلغ عاماً بدأ ينطق ويمشى ، وكنت يوماً فى حديقة كآرينا حيث يجلس الأمهات والمرضعات ويدعن الأطفال يسرحون على الخمال ، ولم تكدهم ساعة حتى اعترننى رعدة فقد لحقت رجلاً يمشى وقد تأبط ذراع امرأة ، وكان هو بعينه الذى أغوانى وتحلى عني بعد أن أحسست بالجبن يتحرك فى أحشائى

فازداد اضطرابى وارتيمت على مقعد قريب منى وانتبهت فى نفسى ذكريات الماضى . فإذا أصنع ؟ لبثت جاثمة فى مكانى حتى غابا عن نظرى . لم أعود

حتى لا نسى تفسير إقامته أو تخطئه الرأى فى تحليلها وكانت أوجستا تترك الفندق أحياناً ضحى وأخرى عصرأ وهى لابسة السواد الذى ألغى لدفيج فلا يسألها ولا تنطوع بالدلالة على مغارجهامداخلها . وتحولت العلاقة من عاطفة الحب إلى عاطفة الحنان . ونشأت صداقة جديدة بين الأم ولدفيج من طول ما انفردا ، وكانت المرأة قصاصة حاذقة ومحدثة ماهرة تطوى الأخبار وتنشرها وتجيّد مرد الوقائع وتلخيص الكتب . فانهز لدفيج غيبة أوجستا يوماً وسألها : لم أكن أعلم أن كريمك متزوجة

فقلت : ظنك فى موضعه وهى لا تزال غير ذات بعل وإن تكن ذات ولد ... أما كيف صارت أمّا فهذا سرها . وأظنه سبب اغترابنا . فوجم لدفيج قليلاً ولحّت الكلمة اللبقة وجومه فتحنّحت وقالت « أظنك كنت تحبها وتعجب بها أما الآن فلا ! » فقال : إنها زادت حسناً فى نظرى ، وزادها الألم جمالا وفتنة ، ولكنى مذ رأيت الطفل عوات على أن تبقى زيارة مفردة لا تتكرر احتراماً للزوج الحاضر أو الغائب

فقلت المرأة : لو كان الزوج غائباً أو حاضراً ما بعثت إليك بتلك الرسالة . فقال : ولكنى عند ما رأيت الطفل المريض ولم أجد رجلاً يحيطها بعنايته صممت على أن أخدمها دون أن أكرث امواطى . وشعر لدفيج بلسعة فى قلبه ولكنه لم يظهر ألمه . وعادت أوجستا من « مشوارها » مبهجة فرحة ، فاستقبلتها الأم بوابل من الأسئلة . وألقت الأم العائدة نظرة عجلى على مربي ولدها وهى تلحج قفازاها ثم أخذت بصرها بلدفيج فتنبهت ثم عضت على شفها كمن يتذكر شيئاً بعد أوانه ثم قالت له :

المحرم ؟ ولم يستطع أن يبرم في أمرها أو ينقض ، فتظاهر بالمطف واللطف وشجعها على المضي في سجيبتها كأنه قد شاقه أن يستمتع بمحدثها ويمتصها بمحدثه فأتيا بالبديع المستطرف من الملح والسائغ المستحب من النوادر. ورنث فحككات أوجستا بريئة ناعمة تنبشه بما شملها من سرور واستحوذ عليها من مراح . وظلا كذلك ردحاً من الزمن غير يسير يتطارحان روائح الطرف . وأحس لودفيج بعد نصف الليل بقليل مما يضطرم في نفسها من ميول وأهواء . فقد أخذت تنظر في الغرفة وتنصت كأنها تسمع وقع أقدام أو دقات قلب . ثم تغمض عينيها كالرأة التي تريد أن تستسلم لما شق يدل عليها ويقاوم رغبتها الجائعة ، وسألها لودفيج فجأة :

— ألا تزال صبة مغرمة وهائمة كلفة بالرجل الذي أحبها ونقلها من الهوى المذري إلى الغرام الأثوى ثم أودعها سر الخليفة فأولدها طفلاً لا تزال تمنى حبه وعلاجه ويخفق قلبها بخفقان قلبه؟ فقالت: — إنني لا أحبه ولم أكن سوى ضحية الزمان والسكان والوجد السريع الغادر ، ولا أحب الآن سواك لأنك أقرب إلى مزاجي وطبي وأدنى إلى تفهم نفسيتي ومعقوليتي من ذلك الرجل . وكان لودفيج يخالسها النظر من حين إلى حين فتبادله « نظرة المريض إلى عيون الموت » وتحاول وهي تناوله الشاي أو الفطير أو قدح الماء القراح أن يحتك كتفها بكتفه عرساً أو بناتها بأنامله مصادفة فيشعر بمغرة اللذات وفيض الهناء ، كأن مفاتيح العالم ومباهج الحياة قد استحال جميعاً امرأة فائنة خمرية اللون سوداء الشمر هي هذه التي يسعد بالجلوس حياها يتملى من روعة حسنها الضحيان . وما كان

أن أمثل دور المهجورة ، وإن مثله فلن أنقنه مهما حاولت . وعدت إلى عزلي محطمة حزينة تحز في نفسى الآلام وتحرقها شتى العواطف . ولم أعد أطيق على البقاء صبراً فتوسلت إلى أمي أن تصحبني . وإذا كنا نستعد للسفر مرض الطفل ، فأخذنا ننقل به من مكان إلى مكان ، فسجنا في بولونيا وفنلندا والنمسا وإيطاليا حتى استقر بنا المقام في لوزان كما ترى . وها أنت ذا قد أسفرت عن شهيم كريم وملك حارس ولا أملك أن أكاثك على إخلاصك لي ولهذا الطفل البريء وهو ثمرة غروري وغرامي — إلا بالاخلاص والوفاء . وها أنا ذى بين يديك أبادلك حباً بحب ووفاء بوفاء ، وأعاهدك على الصدق والصراحة وستجدني إن شئت صديقة لا تمل ولا تخون ...

فدهش لودفيج وكاد يذعر من هذا السيل من الكلام المذهب فابتسم . ونظر إلى الكواكب الحائلة والبحيرة الهامسة بصوت أمواجها ، ثم إلى أضواء المدينة — بحيرة ليان وجبال الألب وأنوار لوزان — ما أمجها ! ثم نظر في عيني أوجستا فاذا الاخلاص يشع منهما فأيقن أن الأقدار قادمة على جزائه خيراً باهداء هذه المحبوبة إليه . وهي التي اشتهاها منذ أربع سنين وفارقت على غير صورة ، وقد عادت إليه عذراء مفتونة ، وأمّا منكوبة ، وعشيقة مهجورة . فما عليه إلا أن يطأطأ رأسه ويمد يده ليقطف تلك الثمرة الدانية الحزينة . ولكن ماذا يقول بعد هذا الاعتراف الذي أفرغته في أذنه حلواً ومرراً ؟ أباحت بسرها لتستعطفه أم لتقصيه ؟ أعارفة هي بخلفه إن كان يرضى بها أم يسخط عليها أم وثقت بانسانيته ورجولته فلم تخف عنه سر حياتها ولفز وجودها ووصفت له ما قاست في سبيل ثمرة غرامها

وجلس وأقبلت عليه وهي ترتجف ونظرت إليه بعينين نصف مطبقتين ومخيا وادع كسته العاطفة من سحرها وروعها وتمتت : لدفيج ! فحنا عليها وصوتها الرخيم برن في مسمعه ، وحبا الكفليم يغور في أضلعه وهمس بحب : « أوجستا » وهم بتقبيلها فما أن كاد يصل ثغره إلى ثغرها حتى سحب رأسه وتراجع عنها أظماً ما يكون إلى رشقة من بين ثناياها وحبس القبلة في فمه ، فردت رأسها المحبوب وأطلقت من صدرها المجهود زفرة لاهية ولم تنبس . فقال لها : — عندي . لا أستطيع أن أحبك في هذه

الغرفة ، إن عيني الصغير « اليوشكا » وشبح والدتك يوقظان الحياء والخفر في نفسي

فقلت له : أو تقان أن نفسي مجردة منهما حتى بموقاك ولا بموقاني . أنا لك أنى شئت . فاتفقا على أن تستأذن أمها في غيبة قصيرة — يوماً وليلة — تقضيهما في بيت صديقة قديمة في ديقون على شاطئ البحيرة ، ولكنهما يلجآن إلى بوفريه

فقال لها : لا بد أن والدتك تدرك شيئاً من سرنا عند ما لا تجدي أزورها في غيبتك . وعندئذ انفجرت أوجستا وقالت له : ألم تكفك الأيام التي قضيتها معاً وتصرمت منها الساعات وقد ذهبت علينا هدرآ فيها لا طائل تحته ولا غنية فيه ، وإن الذي حال بين حبا وبينه من إباء وشرف وكرامة لم يكن إلا هراء وانفوا ، وقد أخطأ خطأ فادحاً في عدم انصياعهما إلى عاطفتها وهواه

فقال لها : أنقفل كل ما تواطأ الناس عليه من قواعد وشرائط للحب ؟ فقلت وقد لمت عينها : — على المرء عند ما يجب أن يرتفع فوق العرف والشرائع وأن يسمو فوق الترهات والأباطيل وأن (•)

أسهل لديه أن يمد ذراعه ليجذبها إليه ويقبلها ويمتلكها في مظهر ذلك الجلال الأسمى المتجلى في السماء والجبال وهدوء الليل ، ولكنه كان جباراً على نفسه قابضاً على زمام طبيعته بيد من حديد ، فكبت وصمت وعادت أوجستا للحديث فقالت : لا أدري لماذا أشتهى الخمر في هذه الليلة أنا التي أبفضها من صميم قلبي . ولكن كان بودي أن أشربها معك . فاهتز كيانه لدفيج هزة عنيفة ثم قالت : أعترف لك الآن أنك استمكنتي بجميلك وحسن صنيعك فقد شارف ولدي على الشفاء بفضل سميك واجتهاد صديقك النظامي بارتولوسكي ، كما ملكت عواطفي بروعة أحاديثك . ولا أدري لماذا تذكرتك كثيراً في الصيف الماضي في روسيا ولا لماذا كان طيفك يمثل أغلب الأحيان أمام عيني . وطالما تمنيت ... فقال لها : ماذا تمنيت ؟ قالت : أن يكون هذا الطفل لي منك لا من سواك ، فاني أحب أن تعيد الطبيعة خلقك في صغير تحنو عليه ضلوعي وتحتويه أحشائي وأرضمه لباني . وكانت نفسي في أشد أوقات الضيق تحدثني بلقائك . فقال لها : أكنت تنتظرين لقائي إذن يا أوجستا ؟ وكانت تلك هي المرة الأولى التي لفظ فيها اسمها من غير لقب ، فرفقت إليه عينيها الساجيتين بجلال ، ولما التقى النظران أطرقت حياء وضرع الخفر خديها الناضرين الناعمين بحمرة الورد . ولم يلبثا أن افترقا على أمل اللقاء في الغد

وما انتصف النهار حتى كانت قدماه تقودانه إلى غرفتها كأن قوة خفية تدفع به إليها وما توشك أن تسمع دقته حتى تهرع إليه لتستقبله . وكانت أمها غائبة عن الدار في أحد شؤونها المالية . فدخل لدفيج

عروقه. المرأة هي أوجستا والرجل هو دي نافا فرانلودي نافا ذلك الأفاق دعى الأدب وصاحب الخان الذى اجتمع لديفيج باوجستا على مائدة لأول مرة . وبعد الدهشة الأولى كذب أذنه لشدة استغرابه واستبماده واستمجانه ، وود لو يستطيع أن ينظر إليهما بعينه ليرى وجه المرأة التى كانت بين يديه منذ ساعات معدودة تستمطفه وتغريه وتراوده وتحمسه وتصرفه عن الفضيلة والشريمة والعرف وتهون فى نظره مراقبة الناس ومراعاة الحق والواجب . وما زال يتحرك ويمتدل ويميل حتى صار منهما بحيث يرى ويسمع ، وعندما وقع نظره على ثوبها وشعرها وخدها (وكانت له فيه علامة لا تخطئ) كاد يحن ويفقد مشاعره ويحل قيود العقل فى نفسه ، ولكنه ضحك واستطاع أن يحوّل آله سروراً وطيشه حلماً وغضبه صبراً وسخطه انعاظاً فسمعها تقول : سأغيب عنك يومين لا أكثر ! إن لى صديقة قديمة فى ديفون تحب أن ترانى ، وقد حاولت أن أدعوها لزيارتى فى لوزان فلم أفلح فسمع الرجل يقول : وكيف تتركين ولدك والذئب ؟

أجابت : إن الصنير دخل دائرة النقاها ولا خطر عليه ؛ أما أمي فتري فى تلك الرحلة بعض راحتي وهنأى . واشد ما وددت أن أكون معك فى سياحتي القصيرة

فقال : إن موسم العمل لا يسمح لى بالتنقل ، ثم إن زوجتي تحب إذا علمت بسفري لأنها تهمنى دائماً بمرافقتك . فما هذه الساعات التى نختلسها إلا فرص نادرة . ولولا شوقى إليك ما استطعت أن أخاطر بمقلها أو بحياتي

فقلت : لا نفقأ نمتن على بقربك وتشعرنى بمرفان

يتخلى عن التفكير فى غده ومستقبله وألا يبحث فى أمور السعادة والشفاء والرذيلة والفضيلة والشرف والتمتلك أو يضيع أوقاته سدى ، وليندفع وراء حبه إن شاء متعة نفسه وراحة قلبه . فنهض لديفيج وقبلها قبلات حارة أودعها كل ما فى فؤاده من حنين وحب وصالحها مودعاً إلى الفندق وقد تواعدا على أن يلتقيا فى الصباح فى غرفة الانتظار فى محطة السكة الحديدية ، فيكون قد اتخذ أهبتة للسفر . وخرج وهو أسعد رجل فى انتظار ذلك اللقاء المرتقب . وذهب لديفيج إلى غرفته ولكن فيمن كان يفكر وهو يصعد الدرج ليقتضى ليلته وخيال من كان ملازمه ؟ وطيف أية حورية كان ذلك الذى راود أحفانه حتى الساعة العاشرة ؟ الجواب على هذه الأسئلة كلها هو « أوجيستا » . فلما أيقن أنه لن تنمض له عين ولن يأخذ الكرى بما قد أحفانه نهض ولبس ثيابه وأحضر فى سكون الليل ليقتضى هزيماً منه فى أحد المقاهى الساهرة حتى يهون عليه انتظار أنفاس الصباح . فسار قدما فى شارع غليوم تيل ثم يون سودرون فاقتبون بنون فبولفار رسوفيدان فيدراو، وهناك ولج باب تلك الحانة الشهيرة « جراند براسيرى فودواز » التى يؤمها الطلاب والطالبات ليشربوا ويطربوا ويرقصوا إلى ما بعد نصف الليل وجلس منفرداً فى إحدى تلك المقاصير المظلمة بالتمائل المنزلة عن أخواتها بشباك خضراء من الأغصان والأفتان كأنها خلوات العابدن فى بطون الوديان أو رؤوس الجبال. ولم يوشك أن يرتشف من قدحه رشفة حتى سمع وراء ظهره وقع أقدام وصوتين يتحدث صاحباهما فى صرح مصحوب بالحذر . صوت امرأة وصوت رجل . فاهتز لديفيج وارتجفت يده ثم كاد دمه يجمد فى

أن يسقط على الأرض وهو ذلك الشارب السخى .
وبعد فترة حكم فيها السكوت على دى نانا
وصاحبه قال لها :

- ليس هذا الصوت غريباً على أذنى .
- وليس كلامه غريباً على سمى .
- أى نعم رحلة قصيرة إلى ديفون وصديق قديم .
- أمله التقفها من أفواهنا وحسن له السكر أن
يعيدها .

— إن لم تخنى ذا كرتى فهو ذلك البولونى . .
أند كرين منذ أربع سنين أنك قلت لى إنه لا يعدو
أحدر جالين : إمامة قبرى ، وإما أبله . فقلت لك : لا هذا
ولا ذاك ، إنه مخلوق عادى كالدرهم الذى يتفق فى الاسواق
لا زائف فريد ، ولا حديث العهد بالسك فيدخر .
فضحكت أوجستا وقالت : صدقت لا يرد
ولا يدخر . . جارسون : واحد شوب ا
محمد لطفى صمعة

وكلاء فى الشرق العربى

لمجلتى (الجامعة) و (ال ٢٠ قصة)

إدارة مجلتى (الجامعة) و (ال ٢٠ قصة)

فى حاجة إلى وكلاء ومراسلين فى البلاد العربية .
وخصوصاً العراق وسوريا ولبنان وفلسطين

والمخابرة بالبريد مع الادارة

شارع نوبار رقم ١ بالقاهرة

الجميل الذى لك فى عنقى ، بيد أن الأمر بين الرجال
والنساء غير ما تفعل . وكانت أشعة ضئيلة تقع على
وجه أوجستا فيراها لدفيج كأنها فى غيبوبة عما
حولها ، وكانت حركاتها وسكناتها كلها تنم عن
استرخاء تستسلم فيه لرفيقها الايطالى المفاصر استسلام
التابع الضعيف يستمد حياته من متبوعه وقد أصبح
خيالاً له وصدي لصوته . وكان لدفيج إذا نظر إليه
متأملًا خاله تارة أسعد الناس وتارة أشقى من فى
الحياة ، فهو سميد باكتشاف هذه الحياة الفائرة
فى أعماق نفس المرأة التى استسلم لها وسمى بخيبة
أمله فى حبه حتى بغضت له الحياة . كان عليه أن
يقتل أحدهما أو يقتلها وينتحر ، وكان عليه — إن
أراد الحياة — أن ينتقم دون أن يضحي بكرامته ؛
وهل تستحق هذه الداعر الفائرة الفتونة أن يبذل
حياته فى سبيلها ؟ فهض وسار خطى معدودة حتى
وقف بباب خلوتها المجاورة لمقصورة وصرخ بأعلى
صوته : جارسون . تفضل بمحاسبتى فانى مسافر فى
الصباح الباكر ، إن لى صديقاً قديماً فى ديفون يجب
أن يرانى وحاولت استدراجه إلى لوزان فلم أفلح
وسأغب عن حاتمكم يومين لا أكثر

وساد فى المكان صمت عميق

وجاء النادل مهرولاً ولم يسمع سوى آخر ما فاه
به لودفيج . فدفع للخادم ثمن الخمر المنقذة ونفحه
حلوانه بسخاء ولم يجد الجرسون ما يقوله سوى قوله
« إن هذه الجملة جيدة جداً ياسيدى ، لقد
أدخلت السرور على نفسك بسرعة مذهلة » وقد
ظنه سكران بفعل الخمر . وخرج لدفيج بترخ فكان
من يراه لا يشك فى أنه فريسة منقوع الشعير
وحشيشة الدبنار . وشيعة الخادم إلى المخرج خشية